المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الحادي والثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٦ — الموافق ١٢ رجب سنة ١٣٢٤

قبل الولادة وبعد الموت

لما انشأ اليسوعيون مجلة المشرق في بيروت منذ تسع سنوات بعثوا الينا بعدد منها فتصفحناهُ واستحسناهُ وقرّظناهُ ثم لم نرَ من هذه المجلة بعد ذلك الاّ عددين رأيناهما اتفاقاً منذ بضع سنوات . وقد اتانا احد الآباء اليسوعيين قبيل كتابة هذه السطور باعداد هذه السنة طالبًا منا ان نبادل المشرق بالمقتطف فاجبناهُ الى طلبهِ شاكرين . ولما فتحنا العدد الاول من اعداد المشرق الصادر في غرة يناير هذه السنة فوجدناهُ مصدّرًا بردّ على المقتطف او على التمهيد الذي مهدناهُ لما كتبهُ الكولونل دي روشا عن النفاة التي كانت تنام النوم المغنطيسي وتدّعي انها تعود الى ما كانت عليهِ قبل ولادتها الاخيرة ممّا لم يسعهُ قرّاء المقتطف فلم نقرأ صفحتين من الرد حتى وقفنا مبهوتين لا لاننا نعتقد ان مرادنا خفي على حضرة المشرق بل لانهُ عسر علينا ان نكتشف الحالة العقلية التي كانت متسلطة عليهِ حينما كتب ما كتب . فقد قلنا في ذلك التمهيد

" اين كانت نفوسنا قبل ولدنا والى اين تذهب بعدما نموت . او ليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولّد وتنمو ثم تموت وتتحلّل وترجع عناصرها الى الارض التي أُخذت منها . هذه مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة وما من احد بلغ الخمسين او الستين الاّ وقف واستوقف وقال الى اين نحن سائرون اين كنا والى اين نمضي وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد

" ان الاديان المختلفة تحلّ هذا السؤال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدسًا وتخمينًا او عملًا عاليًا غير مبني على الحس والمشاهدة "

والمراد " بالاديان المختلفة " اديان البشر كلهم اديان اهالي الصين واليابان والهند وجزائر البحر واهالي افريقية وسكان اميركا الاصليين واليهود والنصارى والمسلمين . فهذه الاديان

كلها تحلّ ما تحياه بمسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة على اساليب مختلفة بعضها حدس وتخمين وبعضها علم عالٍ غير مبني على الحس والمشاهدة بل على الالهام الالهي . ولكن أما يتصل العلم الى حل هذه المسألة مع انهُ اتصل الى حل كثير من الغوامض . والمراد بالعلم في ابحاث المقتطف العلم الطبيعي المبني على التجربة والامتحان والاستقراء وهذا هو المعنى المعروف به الآن عند الاطلاق تمييزاً لهُ عن علم ما وراء الطبيعة

وفروع العلم الطبيعي كثيرة كالفلسفة الطبيعية والكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا وما اشبه وهي مبنية على الحس والمشاهدة والاستقراء والامتحان فقد عُلم بها مثلاً ان الصوت يحدث من ارتجاف الاجسام والصور ترى في المرآة بانعكاس النور والكهربائية تتولّد في الراتينج بالاحتكاك والسائلات تجمد بالبرد والاجسام كلها مؤلفة من جواهر متناهية في الصغر الى غير ذلك مما تراهُ مدوناً في كتب الفلسفة الطبيعية

وعُلم ان ملح الطعام مركب من الكلور والصوديوم . والزاج من الحامض الكبريتيك والحديد . والماء من الاكسجين والهيدروجين . وان الحامض يفعل بالنشاء فيحولهُ الى سكر وعلم مما تراهُ مفصلاً في كتب الكيمياء

وعُلم ان التفاح يدخل البيضة فتتنبه وتصير تتغذى وتنمو . وان الطعام يهضم في القناة الهضمية وتمتص خلاصتهُ وتتحوّل من صورة الى اخرى الى ان تصير دماً يغذي الجسم ويولد فيهِ الحرارة . وان أكسجين الهواء يصل الى الدم بواسطة التنفس ويطهرهُ . وان في الدماغ مراكز عصبية متسلطة على حركات اعضاء الجسم . ونحو ذلك مما يرى في كتب الفسيولوجيا

وعلم ان في قشرة الارض صخوراً اصلها من مقذوفات البراكين وصخوراً اخرى اصلها من رواسب المواد التي كانت ذائبة في المياه . وان المتحجرات النباتية والحيوانية اصلها نباتات وحيوانات انطمرت واختلّت اجزاؤها الآلية وقام مقامها دقائق غير آلية . وان جبال الارض تولدت بفعل الحرارة الداخلية والضغط الجانبي وان البحر كان يغطي البر بل يغطي الجبال في اماكن كثيرة فتخصصت الارض وارتفعت عن مساواة البحر وبقيت اثارهُ فيها الى غير ذلك مما تراهُ مدوناً في كتب الجيولوجيا

فهذه العلوم وامثالها مبنية على المشاهدة والاستقراء والامتحان فيعلم بها ما يقع تحت الحس ويفرض فيها احياناً ما لا بد من فرضهِ لتتم سلسلة التعليل كفرض الاثير لنقل تموجات النور والكهربائية لكنهُ يبقى فرضاً لا حقيقة مقررة حتى اذا كشفت الحقيقة زال الفرض . ونريد بالحقيقة المقررة ما اتفق الناس على حسبانهِ حقيقة مقررة كوجود المنظورات والملموسات

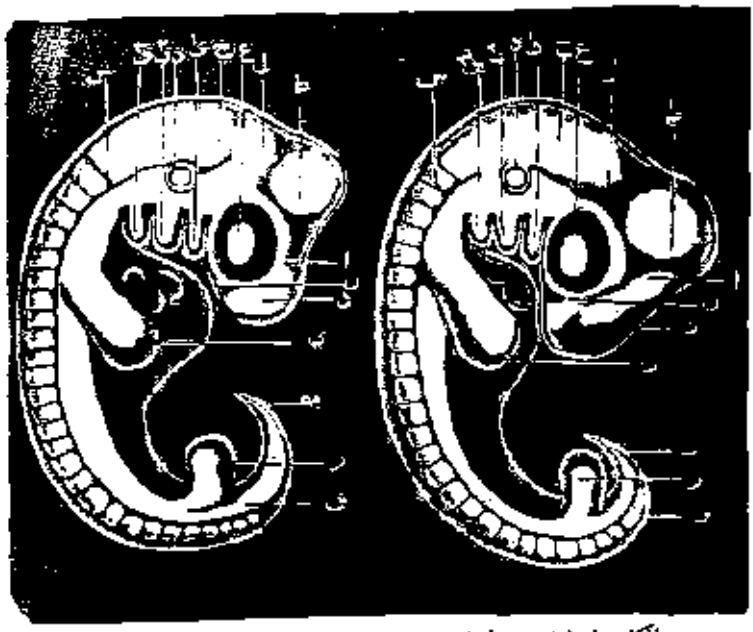

جنين الكلب في الاسبوع الرابع　　جنين الانسان في الاسبوع الرابع

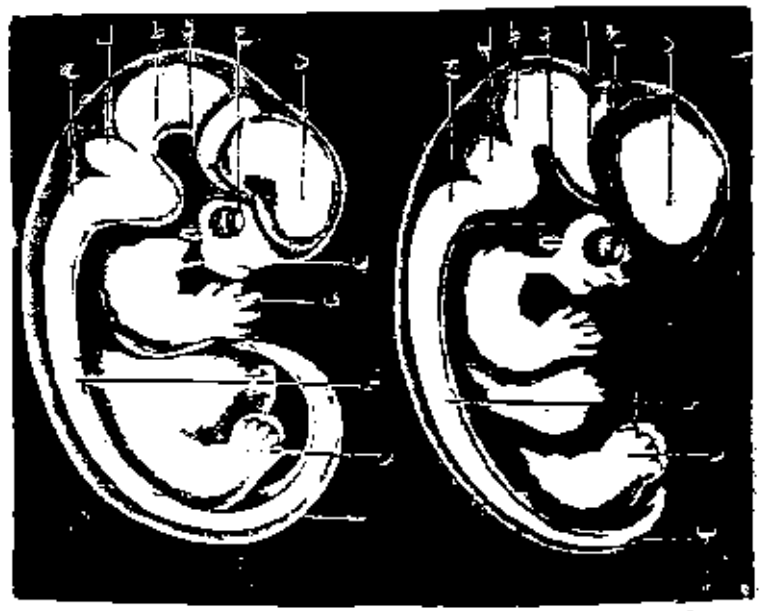

جنين الكلب في الاسبوع السادس　　جنين الانسان في الاسبوع السادس

امام الصفحة ٧٩٥ من متنطف اكتوبر ١٩٠٦

والعلماء المشتغلون بهذه العلوم قد يشتغلون ايضاً بالعلوم الفلسفية او الدينية ويعتقدون ان ارواح الابرار تدخل في اجسام طيور خضر بعد خروجها من اجسادهم او يعتقدون انها تمضي الى جنات فيها من كل فاكهة زوجان او الى مدينة من الذهب التي سورها من يشب واساساتها من الحجارة الكريمة . لكن اعتقادهم هذا لا يكون مبنياً على العلم الطبيعي اي على الفلسفة الطبيعية والكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا والبيولوجيا والنبات والحيوان او نحوها من العلوم الطبيعية المبنية على الحس والاستقراء والامتحان . بل على اعتقاد ديني او الهام الهي او شعور باطني مهما كان نوعه

ولكن ألا يمكننا بالعلم الطبيعي علم الحس والاستقراء والامتحان ان نعرف اين كانت نفس الانسان قبلما دخلت جسده والى اين تذهب بعد ما تفارق الجسد

بتزويج زيد بهند وبعد تسعة اشهر تلد له طفلاً ينمو ويترعرع ويصير رجلاً عاقلاً مفكراً مدبراً . وقد بحث علماء الطبيعة عن كيفية تولده ونموه فوجدوا انه يتولد من جرثومتين صغيرتين جداً من ابيه وامه تتصلان فتصيران جسماً واحداً يمتص الغذاء ويمثله وينمو به وتتنوع اجزاؤه وتتولد منها اعضاء مختلفة من لحم وعظم وعصب ودماغ ويمر على اطوار مختلفة فيكون في اول امره مماثلاً لجنين الطيور ثم لجنين الكلاب كما ترى في الاشكال المرسومة ههنا ثم يرتقي عنها وتظهر فيه مميزات طفل الانسان الى ان يولد في الشهر التاسع او حواليه وينمو بعد ولادته ويأتي مشابهاً لوالديه واسلافهما في امور كثيرة جسدية وعقلية في ملامحه ولونه واطواره العقلية والادبية

كل هذه الامور يبحث عنها علماء الاجنة وعلماء الوراثة وعلماء الفسيولوجيا وعلماء السيكولوجيا الحديثة فعرفوا احوالها ونواميسها اي اسبابها ومسبباتها والقوانين التي تمشي عليها ولكن في اي يوم تحل النفس في هذا الجسد واين يكون مقرها منه واين كانت قبلما حلت فيه وما هي حقيقتها وهل تنمو بنمو او تبقى على حالة واحدة من حين كان نطفة او جنيناً او طفلاً الى ان يبلغ اشده الى ان يكهل وتتكامل قواه العقلية الى ان يشيخ ويضعف الى ان يموت . واين تمضي بعد ان يموت واين كانت نفوس الالف والخمس مئة مليون من الناس الموجودين الآن على وجه البسيطة والذين لم يوجد انسان واحد منهم منذ مئة وعشرين او مئة وثلاثين سنة

هذه المسائل كلها هل يمكن حلها بالعلوم الطبيعية بالكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا وما اشبه او هل يمكن حلها بشيء مما يقع تحت الحس والمشاهدة اي هل يمكن ان نشعر بنفس الولد قبل ان يتصور في بطن امه وتكلما انا غير مخدوعين في شعورنا هذا بل هو حقيقة

بالنسبة الينا مثل الشعور بوجود الكتاب والقلم والقرطاس . ونشعر بها ايضاً بعد خروجها من جسم الانسان وتأكد وجودها كما تأكد وجود الحيوان والنبات والجماد والنور والصوت والكهربائية

ولماذا نبحث عن غيرنا ولا نبحث عن انفسنا . لنفرض ان قارئ هذه السطور كمل عمره اربعون سنة فاين كان منذ خمس واربعين سنة . اين كانت نفسهُ العاقلة هل يقدر ان يتذكر وجودها حينئذٍ ويثبت ذلك بدليل حسي يقنع غيرهُ وان كان يجهل ذلك فهل يمكن ان يعلمهُ كما كان الناس يجهلون اموراً كثيرة ثم علموها الآن اي هل يستطيع الانسان ان يتوصل يوماً ما الى معرفة الحالة التي كان فيها قبلما ابتدأ تكوّنهُ في بطن امهِ كما ادّعت الفتاة التي ورد خبرها في المقالة المشار اليها آنفاً . فان الناس كانوا يجهلون مثلاً انواع العناصر الداخلة في تركيب الشمس والكواكب وقال بعض علمائهم ان الوصول الى معرفة ذلك ضرب من المحال ولكن لم تمضِ على قولهِ مدة طويلة حتى ثبت ان النور يدل على نوع العناصر التي يصدر منها او يمر فيها فتمكّن العلماء بواسطة هذا الاكتشاف البديع من معرفة عناصر الشمس والنجوم كما يعرفون العناصر التي يتركّب منها طعامهم وشرابهم . افلا يمكن ان يكشف سبيل علمي لمعرفة ما كنا عليهِ قبلما ولدتنا وكذلك ألا يمكن ان يوجد سبيل علمي طبيعي لمعرفة ما يمكن ان نصير اليهِ بعد ما نموت لا من حيث اجسادنا فاننا نعلم انها تنحلّ ويأكلها الدود ويغتذي بها النبات بل من حيث نفوسنا العاقلة

هنا ينقسم العلماء الى فئتين فئة تقول ان الوصول الى معرفة ما كنا عليهِ قبل الولادة وما نصير اليهِ بعد الموت غير ممكنة بالوسائل العلمية الطبيعية وفئة تقول ان ذلك ممكن وتدّعي انها وجدت ادلة تؤيد دعواها

وبديهي ان قول بعض العلماء انهُ لا توجد ادلة طبيعية يثبت منها اين كانت نفس الانسان قبلما تصوّر في بطن امهِ والى اين تذهب بعد ما يموت لا ينفي وجود النفس بل انما ينفي وجود الادلّة الطبيعية المشار اليها

ولا يخفى انهُ اذا قال علماء اللاهوت او علماء الكلام ان نفوس الابرار تقيم حول العرش والقيثارات في يدها تسبح الله وتمجدهُ او تجلس على سرر من الاستبرق لا يثبتون قولهم هذا بالادلة الطبيعية بل بالنصوص الكتابية . ويرى كثيرون من علماء الاديان ان المعتقدات الدينية يجب ان لا تعتمد على علم طبيعي ولا على حكمة الناس بل على الوحي والايمان